مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (9) العدد (1) 2025
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2025/02/25 ، تاريخ إرسال التعديلات: 2025/04/10، تاريخ النشر: 2025/04/14

الغنائية ومظاهرها في الشعر العربي الحديث بليبيا

محمد محمد بن عاشور [1]، مختار محمد بن عاشور [2]

[1]قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا
Mmmbab6698@gmail.com

[2]قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا
Mokhtarmohammed888@gmail.com

المستخلص

يسعى هذا البحث إلى رصد تمظهرات الغنائية في الشعر الليبي الحديث، محاولا متابعة مفهوم الغنائية في الشعر منذ القدم، ورصد التغيرات الطارئة عليه خلال السيرورة التاريخية، موضحا الأبعاد السوسيولوجية وأثرها في تغير هذه التمظهرات، وذلك لرصد التطور اللاحق بالشعر الغنائي الليبي الحديث، وأبرز مظاهر هذا التطور، وقد اتبع البحث المنهج التاريخي التحليلي، واستطاع أن يصل إلى جملة من النتائج، منها: وجود تطور لحق بمظاهر الشعر الغنائي العربي الحديث في ليبيا، وأن هذا التطور في جزء منه كان متصلًا بمظاهر الغنائية في الشعر العربي الحديث، وقد تبيَّن من خلال البحث أن هذه المظاهر تختلف عن مظاهر الغنائية في الشعر العربي القديم.

الكلمات المفتاحية: الشعر الليبي الحديث، الشعر والغناء، الغنائية، مظاهر الغنائية.

المقدمة

يعد الشعر من أقدم الفنون التي عرفها الإنسان، وهو مرتبط بحياته ارتباطًا وثيقًا، يعبر فيه عن لواعج نفسه وبواعثها، ويصور فيه حياته وأفكاره ورؤاه، وبالنظر إلى الشعر بوصفه فنا أدبيا، يخضع لقوانين الأدب وتقسيماته، فقد عكف الدارسون منذ أمد على تقسيمه إلى: شعر غنائي؛ ويشمل موضوعات مثل: المدح، والفخر، والرثاء، والهجاء، والغزل، وغيرها، وشعر غير غنائي؛ ويشمل فنونًا أخرى من الشعر؛ مثل: الشعر الملحمي، والشعر المسرحي، وغير ذلك.

لقد فرض التقسيم الأرسطي على الشعر قانونه بالفصل بين الأنواع، وقد كان ذلك لسمات وقواعد تباين فيها لون من ألوان الشعر عن غيره، ولعل الفصل بين الشعر الغنائي وغيره قائم مذ عرف الشعر، فالشعر

الغنائي من فنون الشعر الأصيلة؛ إذ عرف هذا اللون من الشعر منذ الحضارة اليونانية القديمة، إضافة إلى شعر الملحمة، وشعر الدراما بشقيه: التراجيدي والكوميدي، وأما عند العرب فقد عرف الشعر الغنائي منذ نشأة الشعر في العصر الجاهلي، وذلك لأن العرب لم تعرف إلا شعرا واحدا في جاهليتها هو الشعر الغنائي.

ولا شك أن الشعر الغنائي من ألصق الأنواع الشعرية بالإنسان، وأكثرها ارتباطًا به في جميع أحواله وكافة أطوار حياته، ولذا نراه تتعدد أغراضه وتتنوع، فتشمل جميع الأغراض التقليدية، من مدح، وغزل، ورثاء، وغيرها.

مشكلة الدراسة:

نتيجة لتغير الحياة وتطورها واختلافها عما كانت عليه في العصور السابقة؛ فقد شهدت فنون الشعر العربي تغيرًا وتطورًا، تبعًا للتطور الذي لحق حياة الإنسان بصفة عامة، ويفترض البحث أن الشعر الغنائي في عصرنا الحاضر لم يكن بمنأى عن هذا التغير والتطور؛ ولذلك جاءت فكرة هذا البحث لتدرس مظاهر الغنائية في الشعر الليبي في العصر الحديث.

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى الكشف عن ملامح التطور في الشعر الغنائي الليبي في العصر الحديث، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما أبرز ملامح الشعر الغنائي بصفة عامة؟ وهل ثمة تطور لحق بالشعر الغنائي الليبي في العصر الحديث؟ وما أبرز ملامح هذا التطور؟

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في كشفها عن أهم التطورات التي لحقت بالشعر الغنائي الليبي، وكذلك محاولتها تتبع الفوارق بين مظاهر الغنائية القديمة والحديثة في الشعر العربي بصفة عامة، لتفتح المجال أمام الباحثين والمهتمين بالشعر الحديث، الليبي أو العربي، للمقارنة والقياس بين مظاهر الغنائية في الشعر الليبي وغيره، كما تعين هذه الدراسة في إثراء الدراسات المتعلقة بالشعر الليبي ونقده.

الدراسات السابقة ذات الصلة:

لم يجد الباحث – بحسب اطلاعه– دراسات تتناول الغنائية ومظاهرها في الشعر العربي الحديث في ليبيا، ولكن هناك مجموعة من الدراسات التي تناولت مسألة تلازم الشعر العربي مع الغناء والموسيقى، نذكر منها:

- الشعر الغنائي في الأمصار الإسلامية، شوقي ضيف، دار الفكر العربي، 1949.
- الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، شوقي ضيف، دار المعارف، 1998
- بدايات القصيدة الغنائية وفرسانها في العصر الحديث، إلياس سحاب، مجلة الموسيقى العربية، المجمع العربي للموسيقى(جامعة الدول العربية)، حزيران.يونيو، 28، 2016

المنهجية: إجراءات الدراسة والأدوات:

يهدف البحث إلى الوصول إلى الأهداف التي رسمها، والإجابة عن الأسئلة محل الدراسة من خلال اتباع المنهج التاريخي التحليلي، كما استعان البحث ببعض الشواهد الشعرية التي تثبت صحة ما ذهب إليه في الإطار النظري، وقد جاء هذا البحث مكونًا من مقدمة، يليها تقديم المادة المدروسة من خلال العناوين الآتية: مفهوم الشعر ونشأته، وارتباط الشعر بالغناء، ومظاهر الغنائية في الشعر، والشعر الغنائي في العصر الحديث، وموضوعات الشعر الغنائي، ومظاهر الغنائية في الشعر الليبي الحديث، ثم تأتي الخاتمة متضمنة أبرز النتائج وأهمها.

الإطار النظري:

1- ارتباط الشعر بالغناء:

لقد ارتبط الشعر بالغناء منذ نشأته، وذلك من خلال الإشارات الدالة على ذلك في نظريات نشأة الشعر عند القدامى، ويذكر كثير من المؤرخين لحركة الأدب أن الشعر العربي كان في أول أمره أغنية يتغنى بها الحادي خلف الناقة، أو ينشدها المسافر في رحلته عبر الصحراء، فيرفع بها عقيرته بصوت منتظم، يتناسب مع مسير الإبل في مشيها البطيء أو السريع، وهو يعبر في هذه الأغنية عن مظاهر الطبيعة التي يراها من حوله؛ مثل الليل وما فيه من ظلام ونجوم، والصحراء وما فيها من حيوانات وأماكن، تذكره بديار محبوبته وأطلالها، والرحلة وما فيها من صعوبات ومشاق، والشواهد على ارتباط الشعر العربي منذ القدم بالغناء كثيرة؛ نذكر منها أن (المهلهل) – وهو من أقدم شعراء العرب– كان يغني شعره(ضيف، 42) ومن شعره الذي غنّاه قصيدته:

طفلة ما ابنة المحلل بيضاء لعوب لذيذة في العناق (الأصفهاني، 51)

ويذكر (امرؤ القيس) إعجاب بعض النساء بصوته وهو يغني بشعره؛ فيقول:

يرعن إلى صوتي إذا ما سمعنه كما ترعوي عيط إلى صوت أعيسا (امرؤ القيس، 112)

أي أن النسوة يملن إلى صوته إعجابًا به، كما تميل الإبل إلى صوت الجمل ذي اللون الأبيض في حمرة.

ويقول (حسان بن ثابت) "رضي الله عنه":

تغنّ بالشعر إمّا كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار (ابن رشيق، 1981، 2،241)

ومن المعروف أيضًا أن (الأعشى) كان يغني أشعاره، وكذلك كلمة الإنشاد مأخوذة من النشيد ولا تخفى علاقة النشيد بالغناء؛ إذ كانت العرب تقول: فلان ينشد الشعر، أو أنشدنا أبياتًا من الشعر، وفي ذلك ارتباط واضح بين الإنشاد والغناء.

2- مظاهر الغنائية في الشعر:

إن تتبع مظاهر الغنائية في الشعر يضع الباحث أمام طريقين: الأول منهما شكلي؛ فتكون الغنائية إنشادًا نابعًا من إيقاع الشعر، والثاني منهما معنوي؛ فتكون الغنائية هي التعبير عن خلجات الشاعر ومشاعره، أو التعبير عن تجاربه ونظرته الكونية، وفيما يأتي شيء من التفصيل عن هذين الطريقين:

2-1- : الغنائية الشكلية:

تعد الأوزان والقوافي من أهم مظاهر الغنائية الشكلية، وهي الغنائية التي يمكن أن يطلق عليها "الغنائية الموسيقية" وذلك لارتباطها المباشر بالغناء والألحان.

لقد جاء تعدد الأوزان واختلافها، وتعدد القوافي وتنوعها، نتيجة لارتباط الشعر بالغناء وتأثير الغناء عليه؛ ففي العصر الجاهلي –مثلًا– بدأت العناصر الأجنبية تدخل في الشعر العربي متمثلة في المغنيين والمغنيات من غير العرب، فنجد في ذلك العصر بداية ظهور الفرق الموسيقية(الجوقات) وقد عرف العرب في ذلك الوقت الغناء الفردي، والغناء المصحوب بالفرق مع الآلات الموسيقية، كما عرفوا ظاهرة الرقص أيضًا، وفي العهد الأموي انتشرت موجة كبيرة من الغناء والموسيقى في مكة والمدينة، ثم انتقلت هذه الموجة إلى دمشق، ثم إلى بغداد في العصر العباسي، ودخل كثير من المغنيين والمغنيات الأجانب عالم الغناء العربي، فجاءوا بألحان وأنغام جديدة، أثرت في ألحان الغناء المعروفة عند العرب، ومن المعلوم أن الألحان كانت توضع على أشعار يتم التغني بها؛ فدفعت هذه الألحان الجديدة الشعراء العرب إلى مجاراتها، الأمر الذي جعلهم يستحدثون أوزانًا جديدة، مثل: المقتضب، والمضارع، والمتدارك، واستحدثوا أيضًا أشكالاً جديدة من القوافي، مثل: المزدوج، والمسمط، وغيرها، حتى وصلت قمة التغيير

والتجديد –بدافع الألحان والموسيقى–إلى ظهور فن الموشحات في الأندلس، ثم شيوعها في بقية الأقطار الأخرى.(ضيف، 41–57).

2–2– : الغنائية المعنوية:

إن الحديث عن الغنائية المعنوية يعود بنا إلى أنواع الشعر التي كانت معروفة منذ القدم عند اليونان، وهي كما ذكرها (أرسطو) في كتابه (فن الشعر) تتمثل في الدراما– بشقيها التراجيدي والكوميدي– والملحمة، مع ملاحظة وجود نوع آخر من الشعر وهو الشعر الغنائي، إلا أن هذا النوع قد أهمله (أرسطو)؛ فقد "اقتصر أرسطو في شعريته على معالجة الملحمة والدراما، بشقيها التراجيدي والكوميدي، تاركًا الشعر الغنائي الذي كان موجودًا زمن ذاك"(ناظم، 1994،14)، ولعل إهمال (أرسطو) لهذا النوع من الشعر يرجع إلى تراتبية الأجناس الأدبية في عهد (أرسطو)؛ حيث يأتي الشعر الغنائي في آخر قائمة الأجناس الأدبية التي تتصدّرها الملحمة والدراما، غير أن أهمية هذا النوع من الشعر جعلت العلماء المهتمين بالشعرية في القرنين الماضيين يجعلونه محور أبحاثهم، ويضعونه مرادفًا للأدب؛ فقد صرّح (تودوروف) أن موضوع كتاب (أرسطو) في الشعرية هو التمثيل، وليس الأدب؛ لأننا في الشعر الملحمي والشعر المأساوي نحاكي الأفعال والعادات، بينما ننشد في الشعر الغنائي الأحاسيس والمشاعر والعواطف التي نحاكيها.(ناظم، 1994،23)

3– الشعر الغنائي العربي:

إن أول من أطلق هذه التسمية– أي الشعر الغنائي– هم اليونان، الذين صاحب شعرهم الغنائي العزف على القيثارة، ثم تطورت هذه التسمية عند الأوروبيين، فأصبحت تطلق على الشعر الذي يعبّر فيه الشاعر عن دخيلة نفسه، وكأنه يغني عواطفه الخاصة به، وأصبحت هذه التسمية شائعة في عصرنا الحاضر على نوع من الشعر، يأتي في مقابل أنواع أخرى، مثل: الشعر الملحمي، والشعر التمثيلي، والشعر التعليمي، والشعر المسرحي، وشعر الألغاز، وغيرها من أنواع الشعر الأخرى، ويحسن في هذا الموضع التنبيه بشكل عام إلى بعض الفروقات بين الشعر الغنائي وبعض هذه الأنواع؛ وذلك عن طريق النظر في الصفات الخاصة بالشعر الغنائي، والتي لا توجد في الأنواع الأخرى؛ ففي الشعر الغنائي نجد الشاعر يعبّر عن عالمه الداخلي، وعواطفه، ومشاعره، بينما في الشعر الملحمي والشعر التمثيلي يصور الشاعر العالم الخارجي؛ فيصف الأحداث ومصائر الشخصيات، وبذلك فإن الشعر الغنائي هو الذي يتغنى الشاعر فيه بعواطفه، ويعبّر عن تجاربه الخاصة، وانطباع الحياة في نفسه، والقصيدة في هذا النوع من الشعر تكون تعبيرًا ذاتيًا عن انطباع خاص أو تجربة بعينها، ولذلك لا تكون القصيدة طويلة كما في

الشعر الملحمي؛ فتأتي على هيئة مقطوعة قصيرة، أو تأتي أحيانًا على هيئة قصيدة طويلة، ولكنها لا تصل في طولها إلى الملاحم التي تتألف من آلاف الأبيات، وإن قصر القصيدة الغنائية أو طولها يأتي تبعًا لموضوعها، ولعاطفة الشاعر التي يعبّر عنها في هذه القصيدة.

والشعر الغنائي لا يتم بناؤه في العادة على هيئة مقدمة وموضوع وخاتمة؛ لأنه يركز على تجسيد اللحظة العاطفية الانفعالية، وهو بذلك يخالف الشعر المسرحي والشعر الملحمي، وغير ذلك من أنواع الشعر الذي يهتم بالأحداث ولا يهتم بالمشاعر والعواطف، كذلك فإن المحاكمات الذهنية المعقدة، والمعادلات العلمية، وما شابه ذلك، لا يدخل في ميدان الشعر الغنائي؛ وعليه فإن الشعر الغنائي يخالف الشعر التعليمي وشعر الألغاز.

وبذلك يمكن أن نأتي على أهم سمات الشعر الغنائي، وهي أنه يعبّر عن ذات الشاعر، وعواطفه، وأحاسيسه، وآماله، وآلامه، وأحزانه، وأفراحه، وتأملاته، تعبيرًا صادقًا بغير تكلف ولا تقليد.

4- الشعر الغنائي العربي في العصر الحديث:

سبقت الإشارة إلى ارتباط الشعر العربي منذ نشأته بالغناء والموسيقى، وإن أهم مظاهر الغناء في الشعر العربي هي الأوزان والقوافي، لكن الملاحظ أنه منذ ذلك العصر- أي أواخر العصر الجاهلي- بدأت تحدث بعض التحورات داخل الشعر العربي، فيما يخص ارتباطه بالغناء والموسيقى؛ فقد لاحظ الدكتور (شوقي ضيف) في كتابه(الفن ومذاهبه في الشعر العربي) أنه منذ ذلك الحين بدأت بعض الأغراض الشعرية تبتعد شيئًا فشيئًا عن الشعر الغنائي-أي في علاقتها بالغناء- وهو يسميها الشعر التقليدي في مقابل الشعر الغنائي، وبغض النظر عن موضوعات هذه الأغراض – وهي عادة تتمثل في موضوعات مثل: المدح والهجاء- فما يعني البحث هو المعايير والأسس التي على ضوئها جعل الدكتور(شوقي ضيف) هذه الأغراض تنفصل عن الشعر الغنائي؛ إذ يذهب إلى أن هذه الأغراض "لم تعد تقوم على أسس غنائية كما كان الحال في أول نشأتها، فلم تعد تظهر فيها شخصية الفرد ظهورًا بينًا، ولم تعد تصور عواطفه وخواطره تصويرًا واضحًا، وهي كذلك لم تعد متصلة بالغناء، ولذلك كان يحسن بنا أن نميزها عن الشعر الغنائي العام، وأن نصطلح على تسميتها بالشعر التقليدي"(ضيف، 38)، وأما الشعر الغنائي فهو المتمثل في مقطوعات قصيرة، تتناول موضوعًا واحدًا، يدخل الشاعر فيه مباشرة دون أن يمهد له بمقدمة، ولا يلحقه بخاتمة، وهذه المقطوعات يعبر فيها الشعراء عن مشاعرهم وعواطفهم، وهذه هي المعايير العامة التي تميز الشعر الغنائي عن غيره من أنواع الشعر، ومع أن كلام الدكتور(شوقي ضيف) جاء داخل إطار الغناء، إلا أن هذه المعايير لا تمس أبرز مظاهر الموسيقى في الشعر العربي

القديم، وهي الأوزان والقوافي التي ارتبطت بالغنائية في ذلك الشعر، وكون الأغراض التي أصبحت تغنى دون غيرها –مع اشتراكها في الأوزان والقوافي– أغراض تتميز بمقومات في مضمونها، وليس في شكلها (الأوزان والقوافي) فهذا يدل على تنبه القدماء إلى المعايير التي ينبغي وجودها في الشعر الذي يُغنَّى، وهي معايير لم تعد ترتكز على الموسيقى الخارجية، المتمثلة فقط في الأوزان والقوافي؛ فكل الأغراض الشعرية يمكن تلحينها وغناؤها تبعًا لأوزانها وقوافيها فقط، لكن ما أشار إليه الدكتور (شوقي ضيف) هو بحثهم عن غنائية أخرى؛ أي غنائية معنوية، علاوة على الغنائية الشكلية، وهذا طبعًا لا يعني أنهم تجاوزوا أو أهملوا الغنائية الشكلية، لأنهم لم يعرفوا في ذلك الوقت إلا النوع الشعري الذي يقوم على وحدة الوزن والقافية، وإذ ذاك فإن المتتبع يدرك ارتباط الغنائية أو الشعر الغنائي بوحدة الوزن والقافية، لأن المتتبع يرى بوضوح تجاوز الشعراء هذه المسألة في عصرنا الحاضر، بظهور الشعر الحر وقصيدة النثر وغيرهما من الأشكال الشعرية، ولم يعد هناك تقيد بالأوزان والقوافي، وبذلك انفك الارتباط الكلي بين الغنائية أو الموسيقى الخارجية وبين الأوزان والقوافي؛ فالشعر في العصر الحاضر "يقوم على الموسيقى، ولكن هذه الموسيقى لا تنبع من الأوزان العروضية وكفى، وإنما هذه الأوزان ناحية منها.... إلا أن هناك موسيقى أخرى لا تتعلق بالعروض، وإنما تتعلق بالذوق والإحساس بالجمال"(أبو الخشب، 1992، 200).

وهذا ما يدفع البحث –من جهة أخرى– إلى التنبيه على أن عدم التقيد بالوزن والقافية في الشعر الحر لا يعني حتمًا وجود الغنائية فيه، واعتباره شعرًا غنائيًا لمجرد ذلك؛ فإذا كان بعض الشعراء مثل (مطران) وشعراء مدرسة (أبولو) قد دعوا "إلى الشعر المرسل والشعر الحر لتصبح القصيدة العربية أكثر مرونة وطواعية في يد الشاعر....ولتكون أكثر تعبيرًا عن ذاتية الشاعر ومشاعره العميقة"(خفاجي، 1995، 71)، إلا أن هذه الأوزان الحرة الموجودة في هذه الألوان الشعرية، قد تؤدي إلى شيء من الرخاوة والابتذال في الشعر الحر؛ أي أن الأوزان في الشعر الحر ليست سببًا في جعله أكثر صلاحية في التعبير من الشعر العمودي، وبالتالي فهي ليست سببًا في جعله شعرًا غنائيًا، وقد تنبه الشعراء في وقت مبكر من العصر الحاضر إلى أن المعول عليه في الشعر ليس الأوزان والقوافي؛ بل شيء آخر يتمثل في الذكريات والمشاعر والعواطف، يقول الشاعر (أحمد شوقي):

والشعر إن لم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة فهو تقطيع وأوزان (شوقي، 1988، 103)

يخلص البحث من هذا العرض وهو يتحدث عن الشعر الغنائي العربي في العصر الحديث، إلى أن مسألة الأوزان والقوافي ليست السمة الرئيسة في إثبات الغنائية للشعر، ولا في وصف قصيدة ما من الشعر الحديث بأنها شعر غنائي، وأن التقيد بالأوزان والقوافي أو عدم التقيد بهما لا يجعل الشعر غنائيًا؛

بل إن الموسيقى الداخلية في القصيدة، هي التي لها الحظ الأوفر في وجود الغنائية في القصيدة، تلك الموسيقى التي يظهر أثرها فيما تشيعه في النص الشعري من جو خاص، يناسب الحالة النفسية التي يعبر عنها الشاعر، وهي موسيقى لا تعتمد على المجانسة الصوتية الظاهرة بين الألفاظ؛ بل تنبع من الاختيار البارع لهذه الألفاظ، والتأليف بينها في نسق صوتي، يؤدي في مجموعه إلى الفرح أو الحزن أو الصخب أو الهدوء أو الرضا أو الغضب، أو غير ذلك من المشاعر والأحاسيس، هذا من ناحية الألفاظ، أما من ناحية المعاني فإن الشعر الغنائي يقوم على إخراج الشاعر لما يحس به من انفعالات ومشاعر، وتأملات في الحياة والناس؛ فيعمد بشعره إلى إرضاء نفسه ووجدانه، كما يصور خوالج نفسه وهمومها، وما تعانيه في شتى الشؤون النفسية، ولا يخفى قرب هذه المعاني من معاني الشعر عند شعراء الرومانسية، حتى إن بعض النقاد يرون أن الشعر الرومانسي هو ما اتفق على تسميته بالشعر الغنائي.(المعوش، 1993، 507).

5- موضوعات الشعر الغنائي:

لا يجد الدارس اختلافًا كبيرًا بين أغراض الشعر الغنائي القديم والشعر الغنائي في العصر الحديث؛ فكثير من الأغراض الشعرية القديمة مثل: المدح، والرثاء/ والغزل، والحنين، لا تزال قائمة ضمن أغراض الشعر الغنائي الحديث، وإن أضيفت إليها بعض المضامين الجديدة، فهذا ناتج عن تطور الحياة وتقدمها الكبير مقارنة بالعصور السالفة.

هذا عن تشابه الأغراض بشكل عام بين الشعر الغنائي القديم والشعر الغنائي في العصر الحديث، ولكن عند التعمق في التحليل والدراسة لهذه الأغراض، يجد الدارس اختلافًا كبيرًا بينها؛ ويبدو ذلك بشكل أكثر وضوحًا عند المقارنة بين هذه الأغراض في شعر عصور الانحطاط والركود و شعر العصر الحديث، وهذا الاختلاف يرجع إلى عوامل عدة؛ من أهمها ذلك العامل الذي يتعلق بالجانب الوجداني في الشعر الغنائي؛ فقد أشير سابقًا إلى أنه من أهم سمات الشعر الغنائي، كونه شعرًا ذاتيًا، أي نابعًا من ذات الشاعر، وهذا يعني أن الشاعر عندما يتغنى بقصيدته فهو يعبر عما يشعر به فعلًا في أعماقه، وهو بذلك لا يهتم كثيرًا بالآخرين، فاهتمامه الكبير يكون بذاته التي يخرج منها هذا الشعر، وهذا العامل يرجع إلى الدافع الذي يجعله يقول قصيدته، فنرى أنه في عصور الانحطاط والركود هناك كثير من الأغراض الشعرية كانت تقال رغبة في عطاء، أو مجاملة لشخص ما، أو في مناسبة من المناسبات، أو لغير ذلك من الأسباب الخارجة عن ذات الشاعر، ولذلك نجد التكلف ظاهرًا فيها، وهو أمر ينفي وجود الغنائية في مثل هذه الأغراض الشعرية التقليدية؛ حيث يكون الاهتمام في هذه الأشعار بالمحسنات البديعية والزخرف

اللفظي، أو بالتعقيد، أو بالمحاكاة والتقليد، أو بغير ذلك من الأمور على حساب الجانب الجمالي والوجداني، وهذا ما يخرجها من دائرة الشعر الغنائي، فخرجت بذلك قصائد كثيرة من المدح، والهجاء، والرثاء، والغزل، وغيرها، هذا علاوة على خروج أغراض أخرى مثل: الشعر التعليمي، والشعر الفكاهي، وغيرها.

أمّا في العصر الحديث، فيمكن القول إن أغراض الغزل، والمدح، والرثاء، وغيرها من الأغراض القديمة قد تغيرت، وذلك نتيجة التغير السوسيولوجي الذي طرأ على الثقافة العربية عامة، مما أسهم في تغير الأغراض الشعرية ومضامينها.

وتجدر الإشارة إلى استبعاد بعض الموضوعات القديمة وعدم إدراجها ضمن الشعر الغنائي مثل: شعر التخميس، وشعر المناسبات، وشعر المعارضات، والشعر المسرحي، وشعر الملاحم، وغيرها، وذلك لعدم توفر صفات الغنائية فيها.

6- مظاهر الغنائية في الشعر الليبي الحديث

يبدأ العصر الحديث بمفهومه الأدبي-أي العصر الحديث للأدب العربي- مع الرواد الأوائل لمدرسة الإحياء، مثل: محمود البارودي، وأحمد شوقي، ويستمر إلى عصرنا الحاضر، وموضوعات الشعر الغنائي في هذا العصر كثيرة ومتنوعة؛ لأنها تتناول كل مظاهر الحياة والطبيعة، بما فيها من خير وشر وجمال وقبح، وتعبر عن كل ما يعرض للشاعر من تجارب نفسية، تختلف باختلاف الأفراد وظروفهم ونفسياتهم وبيئاتهم، إلا أن هذه الموضوعات مع تباينها في حالاتها الفردية، يمكن أن تجمع تحت أغراض عامة، يضم كل منها من الأعمال الشعرية ما تتشابه مظاهره العامة، وإن اختلفت تفصيلاته وأجزاؤه؛ فقد يتحدث شاعر عن الربيع، وآخر عن الشتاء، وقد يصف مشهدًا استرعى نظره، بما له من سمات ذات دلالة خاصة، ومع ذلك فإننا نستطيع جمع كل هذه الصور المختلفة تحت موضوع واحد هو الوصف، وقد يرثي شاعر صديقًا له، ويرثي آخر زعيمًا أو قائدًا، ويرثي ثالث دولة أو حضارة، فتندرج كل هذه المضامين تحت موضوع عام هو الرثاء، وهكذا...، ولأن موضوع الشعر الغنائي العاطفة الإنسانية بأوسع صورها، نراه يتسع موضوعه بدخول ألوان جديدة من التأملات، والأشعار الوطنية، وضرورات التعبير عن محنة الإنسان ونضاله، وانتصاراته، وتصوراته للمستقبل، وغير ذلك من القضايا.

ويعد العصر الحديث من أبرز عصور ازدهار الشعر الغنائي، لبروز مجموعة كبيرة من الشعراء الذين دعوا إلى الجانب الذاتي أو الغنائي من الشعر؛ ليكون الشعر تعبيرًا عن الذات، بعيدًا عن المناسبات،

يغلب عليه طابع الألم والحنين وحب الطبيعة وتصويرها، كما يعبر عن تجربة شعورية عميقة عاشها الشاعر؛ تتمثل في الاهتمام بالقضايا الوطنية، والقضايا العالمية، أو فيما يخص المشاعر والعواطف والهموم وطريقة التعبير عنها بشكل عام، ومن هؤلاء الشعراء: أبو القاسم الشابي في تونس، وبدر شاكر السياب في العراق، وإبراهيم ناجي في مصر، وعلي الفزاني وعلي الرقيعي وعلي صدقي عبد القادر في ليبيا، وغيرهم.

لقد أسهم انتشار وسائل الاتصالات وتطورها وتنوعها في اتساع دائرة الأخبار، وسهولة الاطلاع عليها من خلال الإذاعات المرئية والمسموعة، والصحف، والمجلات، وغيرها، وكل هذا أدى إلى اتساع التجربة الشعورية لدى الشعراء؛ فلم تعد المشاعر مقتصرة على تجربة الشاعر الخاصة به فقط؛ بل اتسعت هذه المشاعر وازدادت عمقًا؛ فالشاعر في العصر الحديث يتأثر بتجارب غيره، ابتداءً من المحيطين به إلى غيره من البشر بصفة عامة، وإذ ذاك فإن التجربة الشعورية لم تعد فردية، بل أصبحت ذات أبعاد إنسانية، ولذلك نجد ملامح الغنائية قد امتدت وتعمقت في أشعار الشعراء، وظهرت في صور متنوعة منبثقة عن مشاعر إنسانية مشتركة؛ منها العاطفة الوطنية، والعاطفة القومية، والعاطفة الإنسانية، وكل هذا فتح آفاقًا واسعة أمام الشعراء للتغني بهذه المشاعر، والتعبير عنها، في مظاهر متنوعة نذكر منها:

6-1- التغني بحب الوطن:

لقد نما حب الأماكن عند الشعراء في العصر الحديث، ليتجاوز حدود الأماكن الضيقة، مثل: مهد الطفولة، وملاعب الصبا والشباب، إلى آفاق أوسع، امتدت لتشمل حب الوطن بأكمله؛ فتغنى الشعراء بهذه المشاعر تجاه أوطانهم؛ ومن ذلك قول الشاعر (مصطفى محمد العربي):

يا وطني الحبيب.. يا أمّاه.. يا فردوسي السعيد

كم ذا أحب فيك يا بلادي الحسناء

براءة الأطفال والتراب والسماء

وسنة من الزمان غبت يا حبيبتي

من شارع لشارع أحمل في سآمة حقيبتي (العربي، 1980، 10).

فلم تعد محبة الشاعر مقتصرة على مكان نشأته فقط، بل امتدت لتشمل الوطن بأسره، ولم يعد سبب المحبة مرتبطًا بوجود الحبيبة وديارها وأطلالها، بل أصبح الوطن هو المحبوبة، وهو الأم، بل هو الجنة

السعيدة، ولم يعد الحب ناشئًا من فتنة الشاعر بمحاسن الحبيبة الحسناء، بل أصبح الوطن هو الحسناء بملامح الأطفال البريئة، وأصبح الحب ناتجًا عن دلالة مكثفة عبر الشاعر عنها ببراءة الأطفال، وتراب الوطن، وسمائه، وهي دلالة عن التغني بمحبة عامة للوطن بكل ما فيه، وعدم تحمل الشاعر معاناة البعد عنه.

6-2- العاطفة القومية:

إن الشعور بعاطفة الانتماء القومي لدى الشعراء، جعلهم يتجاوزون بمشاعرهم الحدود الإقليمية الضيقة لبلدانهم، ليعبّروا عن مشاعر حبهم العميق لوطنهم العربي بأكمله، ويتغنوا بذلك في أشعارهم؛ فهذا الشاعر (علي صدقي عبد القادر) يقول في بعض قصائده:

بأزهار بلادي

من بحر الأطلنطي لخليجي العربي

أرّخت لميلادك تاريخ كفاحي

وغرست ببيتي قوميتنا العربية (عبد القادر، 320).

فالشاعر يرى أن حدود بلاده تمتد من المحيط الأطلنطي إلى الخليج العربي، وكل من في هذه البلاد يجمعهم مع الشاعر التاريخ المشترك والكفاح المشترك، يعبّر عنه الإحساس بالقومية العربية التي يتغنى الشاعر بها، وبذلك تظهر الغنائية واضحة جلية في المعنى الوطني بمفهومه الكبير، تفصح عن مكنونات الشعر الذاتية، وتبرز ارتباطه الوثيق بالجماعة.

6-3- التغني بفلسطين:

من معاني الشعور بالوطنية تعبير الشعراء عن حزنهم على فلسطين، وما حل بشعبها من آلام، وتغنيهم بهذه المشاعر العميقة؛ فها هو الشاعر (علي صدقي عبد القادر) يتحدث على لسان لاجئ فلسطيني، فيقول:

هل قرأتم مرة فوق جريدة

أو على خارطة اسم (فلسطين) بلادي؟؟؟

ويجيبون بنفي ساخرين

إننا نعرف (إسرائيل) من أنت تكون؟؟

ويدوسون عليه

وهو يصرخ

ارفعوا أقدامكم عني، لماذا لا أعيش؟؟

أنا إنسان ولي أرض ترجّي عودتي (عبدالقادر، 1985، 564).

ويلاحظ في هذه القصيدة الارتباط الوثيق للشاعر بقضية أمته وهي فلسطين، إذ لولا إحساسه بالانتماء لقوميته العربية لما استطاع التعبير عما يحس به اللاجئ الفلسطيني، الذي يرفض الانفصال عن بلاده فلسطين، وهو يصرخ بأن من حقه أن يعيش في أرضه التي تنتظر عودته إليها.

ومما يؤكد إحساس الشعراء الحقيقي والصادق تجاه قضايا أمتهم العربية، وعلى رأسها قضية فلسطين، أنهم عبّروا في أشعارهم عنها، وذكروا أن هذا التعبير نابع من كيانهم ووجدانهم، وأنهم وظفوا مقدرتهم الشعرية في التغني بمشاعرهم الصادقة، بعيدًا عما يُنتظر من الشاعر أن يأتي به من إبداع في المجال الشعري، يتمثل في الإتيان بالجديد؛ فيقول الشاعر (عبد المجيد القمودي) في ذلك:

أصدقائي..

أنا ما قلت جديدًا..

غير أني والذي حمّلني الشعر رسالة..

حين هب الثائر العربي في الأرض السليبة..

حرك الحرف فأدمى في كياني..

أوقد النار فضجت في عروقي..

وصحا الثأر فأذكى في شراييني لهيبه..(القمودي، 1972، 119).

فالشاعر هنا يعترف بأنه لم يأت بجديد في ميدان الشعر، وإنما أراد أن يحمل شعره رسالة تعبّر عن مشاعر الثورة والكفاح من أجل فلسطين، وهي مشاعر حركتها الثورة من أجل الدفاع عن فلسطين، فبرزت هذه المشاعر على هيئة رسالة يبثها الشاعر في قصيدته.

6-4- التماهي مع الطبيعة:

لقد تغنى الشعراء كثيرًا بالطبيعة وجمالها، وربطوا مظاهرها بعواطفهم وأشجانهم، فحملوا الطبيعة كثيرا من أحاسيسهم ومشاعرهم، بل شخصوا الطبيعة أحيانا لتشاركهم أحاسيسهم وآلامهم، يقول الشاعر (حسن السوسي):

بهمس النسيم وخفق الغصون تنام الجراح وتغفوا الشجون

وتنعش أنفاسه الناشقين ببوح خزاماه والسعتر (السوسي، 1987، 140).

يظهر في الأبيات تغني الشاعر بالطبيعة ومظاهرها، بل يظهر مزج الشاعر لعواطفه بتلك المظاهر الطبيعية، التي تؤثر في تلك العواطف وتنشأ عنها، والمشاعر في هذه الأبيات –وفي غيرها–، من هذا اللون من الشعر، غالبا ما تكون مشاعر ذاتية، وبذلك فهي تدور في فلك الشعر الغنائي، شأنها شأن كثير من ألوان الشعر في هذا العصر، إذ كثرت موضوعات الشعر الغنائي فيه، وذلك راجع إلى تطور الحياة المادية والفكرية، وازدهار الحضارة ورقي الإنسان في مشاعره وتأملاته، ولهذا يكتفي البحث بما أورده من نماذج، يظهر من خلالها ازدهار الشعر الغنائي في العصر الحديث، ويستشف منها مدى ارتباط الشعراء بشعرهم، حتى كأنه قطعة منهم، يحمل عواطفهم ومشاعرهم، بل ويولد ويكبر معهم، ويعبر عن وجودهم في هذه الحياة.

النتائج والمناقشة:

1- يمكن القول إن **أصل** تسمية الشعر الغنائي ناتجة عن ارتباطه بالغناء والأوزان والموسيقى.

2- لا تنحصر مظاهر الغنائية في الشعر على الغناء والأوزان والقوافي، بل تتسع لتشمل ما يحمله هذا الشعر من موسيقى أخرى، تتمثل في قوة العاطفة وصدقها، ورغبة الشاعر النابعة من ذاته في التعبير عن مشاعره، وعواطفه، وأحاسيسه، وتأملاته.

3- إذا كان الشعر العربي قد حل به الركود والجمود في عصور الانحطاط، فإنه ابتداءً من العصر الحديث قد شهد ازدهارًا كبيرًا؛ وإذا كانت عناصر القصيدة عند القدامى هي اللفظ والمعنى والوزن والقافية،

فإنها عند المعاصرين أصبحت تتمثل في التجربة الشعورية، والموسيقى، والخيال، والصورة الشعرية، وعمق الفكرة واتساعها.

4- استطاع الشعراء من خلال الشعر الغنائي التعبير عن ذواتهم تعبيرًا صادقًا، وإظهار عواطفهم وأحاسيسهم بدون تكلف أو تقليد، وبدون أي غرض عدا رغبة الشاعر في التعبير عن ذاته، والتغني بشعره.

5- أصبح الشعر الغنائي الليبي في العصر الحديث يهتم بالتجربة العاطفية الصادقة، وامتزاج المشاعر مع الطبيعة؛ بحيث يحمل هذا الشعر دلالات أعمق وأوسع من الدلالات المألوفة في التجربة العاطفية التقليدية.

6- اتسعت الآفاق التي يتناولها الشاعر الليبي في شعره الغنائي، بحيث تتجاوز الدائرة الفردية الضيقة لتشمل الإنسانية بأجمعها، بل الكون بأسره.

التوصيات:

يصل البحث من خلال ما عرضه إلى جملة من التوصيات تتمثل في:

1- دعوة الباحثين إلى دراسة الشعر الليبي والإسهام في إبراز خصائصه وسماته.

2- إجراء المقارنات بين الشعر الليبي وغيره.

3- توسيع دائرة البحث في الغنائية بشقيها الشكلي والمعنوي.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم علي أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي الحديث في العصر الحاضر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 4، 1992م.
- أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: 5، 1981م، دار الجيل، بيروت لبنان.
- أحمد شوقي، الشوقيات، دار العودة بيروت، الجزء: 2، 1988م.
- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، شرح: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ط: 2، 2004م.
- حسن السوسي، ديوان نوافذ، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية، ط: 1، 1987م.
- حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: 1، 1994م.
- سالم المعوش، في الأدب العربي الحديث، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط: 1، 1993م.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط: 3.

- عبد المجيد القمودي، زغاريد في علبة صفيح، د. ن، ط: 1، 1972م
- عبدالله إبراهيم، واقع النقد الأدبي في ليبيا، المجلة الجامعة، تصدر عن مركز البحوث والدراسات العليا بجامعة السابع من أبريل، ع: 1، 1999.
- علي صدقي عبد القادر، الأعمال الشعرية الكاملة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط: 1، 1985م.
- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: 1، 1995م.
- مصطفى محمد العربي، الورد الأبيض، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط: 1، 1980م.

Aspects of Lyricism in Modern Libyan Poetry

BIN ASHOUR MOHAMMED[1] , BIN ASHOUR MUKHTAR[2]

1Department of Arabic Language, College of Arabic Language and Islamic Studies, Asmarya Islamic University, Libya

2Department of Arabic Language, College of Arabic Language and Islamic Studies, Asmarya Islamic University, Libya

Abstract

This research seeks to monitor the manifestations of lyricism in modern Libyan poetry, trying to follow the concept of lyricism in poetry since ancient times, and monitor the changes that occurred to it during the historical process, explaining the sociological dimensions and their impact on the change of these manifestations, in order to monitor the subsequent development of modern Libyan lyric poetry, and the most prominent manifestations of this development. The research followed the historical analytical method, and was able to reach a set of results, including: the existence of a development that affected Libyan lyric poetry in the modern era, and that this development in part was connected to the manifestations of lyricism, those manifestations that were in their entirety an extension of Arabic poetry in the modern era, and therefore we find the manifestations of lyricism in Libyan poetry agreeing with their counterparts in modern Arabic poetry, but they differ from the manifestations of lyricism in ancient times.

Keywords: Modern Libyan poetry, poetry and singing, lyricism, manifestations of lyricism